

# مسابقة شعرية في الأندلس القرن ٦ الهجري ١٢ الميلادي

فاضل السباعي

المعارضة باب من أبواب الشعر التقليدي عند العرب ، يتصدى فيه شاعر لقصيدة شاعر آخر ، فينظم أبياتاً على وزنهما وقافيتها ، إعجاباً بها أو نقضاً لها .

وقد تنطلق المعارضة من الود والاعجاب يكتنهما المعارض لشاعر معاصر له ، وعندئذ تتحول المعارضة الى نوع من الدعابة مما يدخل في فن الاخوانيات ، وفيه يقتصر عمل الشاعر المعارض على إبداء البراعة في النظم ومحاولة اللحاق بزميله والوصول الى مداه !

وأما تذييل الشعر ، أو اجازته ، فهو أن يأخذ الشاعر قولاً لسواه ، بيتاً واحداً أو عدة أبيات أو شطراً ، فيزيئله بشيء من عنده ، على وزنه وقافيته وموضوعه .

وقد وقفت في كتاب « الذئيل والتكملة » لابن عبد الملك المراكشي ، على مقطعات شعرية في « معارضة » أسهم فيها ثمانية من شعراء مدينة مالقة الأندلسية ، بأن ذيل كل منهم بيتين لشاعر معاصر ، مالمقي أيضاً ، هو « أبو محمد بن الأصم » ، « محاولين اللحاق به والوصول الى مداه » . وكان محرّضهم في ذلك أحدهم : « أبا الحجاج بن الشيخ » ، الذي بدا أنه كان متفنناً حتى في عرض المقطعات الشعرية على من يبدي له رأيه فيها ، فهو بذلك يصطنع « مسابقة شعرية » تحقق له من شروطها أيضاً : « السريّة » ، فقد بعث بالأشعار - مغفلة من أسماء ناظميها - بعد أن شفعها برسالة منه في التماس « التحكيم » ، الى « محكم » كان هو صديقه الشاعر ابن الأصم نفسه ، هذا الذي رد ، في رسالة مطوّلة أودع فيها رأيه ، بعفوية لم تخل من دعابة على نحو ما أسعفته قريحته في ساعته ، وهو لا يدري أن بين هذه المقطعات واحدة لصديقه أبي الحجاج !

## ١ - ابن عبد الملك وموسوعته في تراجم رجال الأندلس :

ليس من المغالاة الزعم بأن كتاب « الذيل والتكملة لكتابي الموصّل والصلة » ، هو أشمل موسوعات التاريخ الأندلسي الخاص ، ونعني تلك التي ترجمت للرجال ، ورسمت ، من خلال ذلك ، صورة للحياة الأدبية والفكرية في الأندلس . ويزيد من أهمية هذا الكتاب أن صاحبه أبا عبدالله ، محمد بن محمد بن سعيد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي ، قد أتبع له - وهو من أهل القرن السابع الهجري - أن يعتمد على كل ما قدمته كتب الطبقات الأندلسية التي سبقت ، ولم تكن قليلة في عصره ذاك الذي كان قد أخذ يستشرف عصور الأندلس الزاهرة قبل الانعطاف نحو النهاية (١) !

وهكذا استوعب كتابه ، أو موسوعته ذات الأجزاء أو الأسفار الثمانية ، كل ما جاء به المؤرخون قبله ، مثل ابن الفَرَضِي (المتوفى سنة ٤٠٣ هـ) في كتابه « تاريخ علماء الأندلس » ، والجَمِيدِي (ت ٤٨٨ هـ) في كتابه « جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس » ، وابن بشكّو (ت ٥٧٨ هـ) في « كتاب الصلة » (٢) ، وغير ذلك من الكتب ، وتجاوزها كلها إلى المشاهدة ، والرواية الشفوية ، والسماع المباشر ، ويندرج في هذا النوع « الفضلوكات » التاريخية الاستطراذية ، وكذلك تراجم من أدرك حياتهم أو قارب عصرهم ... وذلك ما أضفى على موسوعته أهمية خاصة مما جعل أحد الباحثين العرب المعاصرين ، وهو الدكتور محمد بن شريفة ، يقول في دراسته المستفيضة التي قدم بها السفر الثامن:

« ومع أن ابن عبد الملك لم يؤلّف في التاريخ العام ، ولم يخلف منه إلا الفضلوكات ، فقد نقل عنه أصحاب المدونات التاريخية وفي طليعتهم بلكد يث ابن عذارى » في القسم المتعلق بتاريخ الموحدين من كتاب « البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب » (٣) .

ومن المؤسف أن أجزاء من هذا الكتاب القيّم لا تزال مفقودة . وما عثر عليه منها حتى اليوم وتم تحقيقه ونشره ، هو الأسفار : الأول ، وقطعة من الرابع ، والخامس ، والسادس ، وقطعة من الثامن ؛ نهض بتحقيق الأول والأخير الدكتور بن شريفة ، وحقق الرابع والخامس الدكتور احسان عباس (٤) .

ولدى مطالعتي للسفر الخامس وقفت ، في ترجمة الفقيه الأديب ابن الأصب (من أهل مالقة ، في القرن السادس الهجري) ، على تفاصيل تلك المعارضة الشعرية الطريفة ، مدار دراستنا هذه .

## ٢ - مالقة ، التي سقطت بشرف :

تقع مالقة جنوبي الأندلس ، مطلة على البحر الشامي (الأبيض المتوسط) ، على الجانب الشرقي منه المسمى « بحر الزقاق » مما يلي مضيق جبل طارق . وترجع المدينة إلى أصول رومانية وفينيقية . وقد كانت أيام الدولة الإسلامية من أهم الثغور الأندلسية ، واستطاعت أن تحتفظ بطابعها الإسلامي الخالص حتى نهاية مملكة غرناطة ، وما سقطت في يد نصارى إسبانيا إلا مع سقوط آخر المعاقل الأندلسية ، بعد دفاع مجيد سجلته صحف ذلك العصر .

وقد أوجز ياقوت الحموي القول في مالمقة في معجمه . إلا أن ابن عبد المنعم الحميري ، المغربي (ت ٧٢٧ هـ) ، أطال الوقوف عندها في كتابه «الروض المعطار في خبر الأقطار» ، فقال إنها «حسنة ، عامرة ، أهلة ، كثيرة الديار» ، ووصف قصبتها ، التي تقع شرقي المدينة ، بأنها في غاية الحصانة والمنعة ، مرد ذلك إلى أن عليها سور صخر والبحر في قبليها .

وللمدينة - يقول الحميري - خمسة أبواب ، وبضآن كبيران (٥) ، وفيها مبان فخمة ، وحمامات حسنة ، وأسواق جامعة كثيرة في الريض والمدينة . وجامعها ، بالمدينة ، من خمس بلاطات . وشرب أهلها من الآبار . ولها وادٍ يجري في زمان الشتاء ، وليس بدائم الجري . ومرساها صيفي ، يكن بالغربي (٦) .

وعن تينها يقول : « وفيما استندار بها من جميع جهاتها ، شجر التين المنسوب إليها ، وهو يحمل إلى مصر والشام والعراق ، وربما وصل إلى الهند . وهو من أحسن التين طيباً وعذوبة » (٧) .

ويطيب لنا أن نستكمل التعريف بمالمقة بالصورة الشعرية التي رسمها لنا ابن سعيد الأندلسي (ت ٦٨٥ هـ) . . . . يقول :

« تعرف الآن بمالمقة وفي القديم بريئة ، وهي بحريّة بريّة ، ولها الوادي الربيعي الذي يأتي زائراً مغرباً ، فيزداد أهلها فيه غبطة وحباً ، وعلى مذانبه المتفرغة كسباتك اللجّين ، ما ترتاح بمرآه النفس والعين ، وفيه أقول :

بوادي ريّة عرّج ، فاني	رأيت الحُسن عنه لا يميل
وهاي الخمر صرفاً دون مزج	بحيث الماء والظلّ الظليل
غداً متقسماً في كل وجه	كما سلّت على خزء نصول
تجول لوا حظي ما دمت فيه	بحيث ترى مذانبه تزول »

ويقول عن تينها والوزها :

« ومالمقة ، مما فضّلت به ، ما حفّها من شجر اللوز وشجر التين ، اذ هو بها طوفان لا تزال تحمل منه الركاب والسّفين ، وهو مفضل على سائر تين الأندلس ، إلا « شمري » اشبيلية ، فان بعضهم يفضلّه ، ولا سيما في دخوله الأدوية ومنفعته (٨) . ويكفيها عن الاطناب ما يتضمن شرح اسمها ، اذ معنى « ريّة » عند النصارى : سلطنة ، فهي سلطنة البلاد . . . » (٩) .

ويقول : « دخلت مدينة مالمقة وأقمت فيها اقامة أرضت الشباب ، وأمتعت مجالس الآداب . وكان والدي (١٠) يفضلّها ويحبب بها ، ولا سيما في أيام فرحهم وخروجهم إلى كروم العنب والتين . ولقد خرجنا إلى كرم أقمتنا فيه مدة منفعته ، فعددتنا ذلك من أيام

النعميم . (وفي مألقة) من ضروب الوشي العجائب ، ويصنع بها الفخّار المذهب والزجاج » (١١) .

وقد استظلت مألقة عهد الأمويين بقرطبة الى حين سقوط دولتهم ، فانتزى على مألقة بعض الطامعين في عصر ملوك الطوائف (القرن الخامس الهجري/ ١١ الميلادي) ، الى أن دخلت مع حواضر الأندلس كلها في حضي دولة المرابطين ، فالموحدين ، ثم كانت ثغراً للمملكة الغرناطية في عهد بني نصر .

ولم يكن سهلاً سقوطها في يد القشتاليين ، الذين زحفوا عليها في جمادى الثانية ٨٩٢ (حزيران ١٤٨٧) ، وطوقوها من البر والبحر بقوات كثيفة . فقد امتنع المسلمون داخل مدينتهم ، التي كانت تموج بالمدافعين وعلى رأسهم نخبة ممتازة من أكابر الفرسان ، ومعهم بعض الأنفاط والعُدد الثقيلة ، وقائدهم حامد الثغري . وأبدوا ، في الدفاع عن ثغرهم ، أروع ضروب البسالة والجُكْد ، وحاولوا غير مرة كسر أطواق الحصار المضروب عليهم ، وفتكوا بالنصارى في بضع مواقع محلية . . . الى أن استنفدوا كل ما وصلت اليه أيديهم من الاقوات ، واكلوا الجلود وأوراق الشجر ، ومات كثير من أنجاد فرسانهم ، فاضطروا ، بعد دفاع استطال ثلاثة أشهر ، الى التسليم على أن يؤمنوا في أنفسهم وأموالهم . ولكن الملك الكاثوليكي فرناندو الخامس ، لم يحافظ على ما بذله لأهلها من عهد التأمين النفس والمال ، وأصدر مرسوماً ملكياً باعتبار أهلها المسلمين رقيقاً يتعين عليهم اقتداء أنفسهم واستاعهم (١٢) .

ومألقة اليوم Málaga هي عاصمة الولاية الاسبانية المسماة بهذا الاسم . وهي أهم ثغور اسبانيا الجنوبية . ويبلغ سكانها ثلاثمائة ألف نسمة . ومما تصدره من محاصيلها الزراعية : التين ، واللوز ، والعنب . . . ولم تزل تشتهر بمنتجاتها الجميلة من الفخّار والخزف الملوّن ، الصناعة التي ازدهرت في العصر الاسلامي (١٣) .

### ٣ - من أعلام مألقة :

من مألقة رجال ذكرهم تاريخها ، سواء أكانوا من أبنائها المقيمين فيها أو المرتحلين عنها أو من الطارئین عليها ، ممن أحسنوا أو ظلموا أو ظلموا ! ونحب ، هنا ، أن نعرف ببعضهم نماذج نستكمل بها رسم صورة الحياة السياسية والفكرية والأدبية ، في هذه المدينة الأندلسية الشهيرة .

● ولعل أول هؤلاء ، من القادمين عليها ، المحدث معاوية بن صالح . ذكر الحميري أن في قسبة مألقة مسجداً بناه هذا الفقيه ، « وكان ممن حضر وقعة مروان بن محمد ليلة بوضير ، فأنجاه الفرار ، ولجأ الى الأندلس فرّقاً من المسوِّدة ، ومات بها ، وله روايات وتقدم في السنة والعلم » (١٤) .

● ومنهم أبو عبدالله ، محمد بن معمر ، المعروف بـ « ابن أخت غانم » ، من أعيان مألقة ، عالم بالنبات واللغة . أقام مدة في المريّة ، المجاورة ، وحظي عند ملكها المعتمد

ابن صُمادح (حكمه : ٤٤٣-٤٨٤) . وكان من المعمّرين : ذكر أحدهم أنه حدثه في داره بمالقة وهو ابن مئة سنة وأخذ عنه عام ٥٢٤ . ونسب إلى خاله « غانم بن الوليد المخزومي » ، الامام العالم ، لشهرة ذكره وعلو قدره (١٥) .

● ومن أبنائها الخطائين : أبو الحكم بن حسون ، الحسين بن الحسين ، من جبابرة الأمراء في الأندلس . تولى قضاءها ، فدعا إلى نفسه عندما نشأت الفتنة في آخر أيام المرابطين وصدرأ من دولة الموحدين ، وجمع الإمارة إلى القضاء (٥٣٩-٥٤٧) . وقتل من أهل مالقة من قتل وغرب من غرب ، ثم زلّت قدمه فكاتب نصارى إسبانيا مستعيناً بهم . ثم قتل نفسه عند قيام أهل البلد عليه ، ولم يُعفَ ذلك من أن تصلب جثته ، ويحمل رأسه إلى مراكش (١٦) .

● ومن أبنائها العلماء أبو محمد بن القرطبي ، عبد الله بن الحسن الأنصاري ، مالقي ، قرطبي الأصل وأبوه انتقل منها إلى مالقة . كان أبو محمد ، ببلدة مالقة ، كامل المعارف رئيس المحدثين وإمامهم ، متوقّد الذهن ، كريم الخلال ، حميد العشرة ، دمثاً ، متواضعاً ، حسن الخلق ، محبباً إلى الناس . . . وكان له ، بجامع مالقة الأعظم ، مجلس عام سوى مجلس تدريسه ، يتكلم فيه على الحديث ، أسناداً ومثناً ، بطريقة أعجز عنها كثيراً من أكابر أهل زمانه . . . توفي سنة ٦١١ وهو في الخامسة والخمسين (١٧) .

● ومنهم القاضي أبو محمد ، عبد الله بن سليمان بن حوط الله الأنصاري ، من أعلام الفقهاء . ولي القضاء في اشبيلية وقرطبة ومالقة وغيرها من مدن الأندلس والمغرب . توفي سنة ٦١٢ . ويقول انه لما ولي قضاء مالقة وقدم عليها ، خرج طلبتها إلى لقائه فانشدهم :

مالقة ! حيّيت ، يا تينها      الفلك ، من أجلك ، ياتينها  
نهى طيبي عنك في علّتي      ما لطبيبي ، عن حياتي ، نها (١٨)

● ومنهم أبو علي بن يبيّ . « ولي أعمال مالقة حين كان واليها أبو العلاء ، مأمون بني عبد المؤمن . وكانت له جارية قد أدّبها وعلمها الغناء ، فطلبها منه أبو العلاء فلم يسعفه بها ، فأمسك له ذلك مع أشياء كانت عليه في نفسه ، فلما خطب لنفسه بالخلافة في اشبيلية أحضره وضرب عنقه » (١٩) .

● ومنهم أبو محمد الرندي ، عيسى بن سليمان الرندي . روى عن أبي محمد بن القرطبي ، ورحل وحج ، وإقام في رحلته نحو ستة عشر عاماً ، ولقب هنالك برشيد الدين ، وقفل إلى الأندلس بروايات واسعة ، وفوائد دجّة ، وغرائب نافعة . وفي طريق عودته امتحن بالأسر ، فذهب عنه كثير مما جلب . ووصل مالقة في أوائل ٦٣١ ، وقدم للإمامة بجامعها ، فمرض قبل الصلاة فيه بالناس ، وتوالى مرضه إلى أن توفي في ربيع الأول ٦٣٢ وهو في الحادية والخمسين (٢٠) .

● ومن أبناء مالقة العظام عالم دخل التاريخ العلمي من أوسع أبوابه . ضياء الدين أبو محمد ، عبد الله بن أحمد المالقي ، الشهير بـ « ابن البيطار » . أوجد زمانه ، وعلاّمة

وقته في معرفة النبات ، وتحقيقه ، واختياره ، ومواقع نباته ، ونعت أسمائه على اختلافها وتنوعها . سافر الى بلاد الأغارقة وأقصى بلاد الروم . واستقر في مصر والشام زمن الأيوبيين ، وخدم الملك الصالح ، وله ألف موسوعته الشهيرة « الجامع لمفردات الأدوية والأغذية » . توفي بدمشق سنة ٦٤٦ (٢١) .

● ومن مصادفات الأيام أن ابن صاحب « الذيل والتكملة » . ابن عبد الملك ، قد جرى (بمراكش) تخامل في متروكه ، بعد وفاة أبيه ، « لتبعة تسلطت على نشبه ، أدته الى الجلاء عن وطنه ، فاستقر بمالقة ، وأقام بهازمانا ، لا يهتدي لمكان فضله الا من عثر عليه جزافا . ولم ينتقل عن حالته ، من الخُسنة والانبياض والعكوف على النظر في العلوم » (٢٢) . ويقول لسان الدين بن الخطيب انه « فقد في وقعة على المسلمين من جيش مالقة في ذي قعدة من عام ثلاثة وأربعين وسبع مائة » (٢٣) .

● والعل آخر عظماء المسلمين ، من الطارئين على مالقة ، كان حامد الثغري ، المار ذكره ، زعيم قبيلة غمارة ، الذي كان على رأس الفرسان الأنجاد الذين دافعوا عنها ببسالة في حصارها من قبل القشتاليين ، ذلك الحصار الذي أدى الى سقوطها سنة ٨٩٢ هـ (٢٤) .

ومنهم أخيراً ، وعلى وجه الخصوص :

● أبو محمد بن الأصم ،

● وأبو الحجاج بن الشيخ !

٤ - أبو محمد بن الأصم :

هو عبد الوهاب بن محمد بن علي ، المالقي المنشئي (٢٥) . يقول ، في التعريف به ، ابن عبد الملك المراكشي انه « كان فقيهاً ، عاقداً للشروط بصيراً بعلمها ، نافذاً في العربية ، ريثان من الأدب ، مجيداً في النظم والنثر ، ناقداً ، ورعاً زاهداً فاضلاً ، منبسط النفس طريف الدعابة ، متين الديانة (٥٠٠) ولي الصلاة والخطبة بجامع مالقة (٥٠٠) وكان ، قبل ، قد أثر سكنى باديته معظم عمره ، راضياً بخموله ، عاكفاً على ما يعنيه من شأن معاشه ومعاده » ، الى أن توفي خطيب جامع مالقة ، أبو عبد الله الاستجّي ، فتولى للصلاة والخطبة فيه بعده ، منتقلاً الى سكنى مالقة ، وفيها مات في شوال ٥٩٨ هـ (١٢٠٢ م) عن سبعة وسبعين عاماً .

ومن شعره ، في الموت :

الموت حصاة بلا منجل يستطو على القاطن والمنجلي

لا يقبل العذر على حالة ما كان من مشكل او من جلي (٢٦)

وكانت بينه وبين أدباء عصره ، مثل أبي محمد بن حوط الله وأبي الحجاج بن الشيخ وأبي القاسم السهيلي وغيرهم ، « مخاطبات ظهر فيها تبريزه وحسن تصرفه (٥٠٠) ، وله خطب بارعة ، وأشعار فائقة ، ورسائل بدیعة » (٢٧) .

ومن تنديره المستطرف أنه دخل، يوماً، على بعض الولاة بمالقعة • فسأل الوالي عنه كاتبه أبا محمد، عطاء بن غالب الهمداني، المعروف بـ « ابن أخت غالب »، فقال عطاء: « هو رجل من أهل البادية ! »، فقال ابن الأصم: « نعم البادية على وجهي بادية، لا أنكر حاله ولا أعرف بخالي ! »، فأسكت عطاء مفحماً، وأعجب الأمير والحاضرون بجوابه (٢٨) •

ومع البداوة البادية عليه، فإنه كان يملك - عدا ما نعت به من « التندير المستطرف » - حساسية للتذوق الشعري لا حد لها، مما جعل صاحب « نفح الطيب » يقدم لنا ما كان منه، في يوم من الأيام، دليلاً على رقة أهل الأندلس جميعاً !

يقول المقرئ في ثنائه على الأندلسيين :

« من لطف أهل الأندلس ورقّة طباعهم ما حكاه أبو عمرو [سالم] بن سالم المالقي (٢٩)، قال : كنت جالساً بمنزلي بمالقعة، فهاجت نفسي أن أخرج إلى الجبّاتة، وكان يوماً شديد الحر، فراودتها على القعود فلم تمكنني من القعود • فمشيت حتى انتهيت إلى مسجد يعرف بـ « رابطة الغبار » (٣٠)، وعنده الخطيب أبو محمد عبد الوهاب بن علي المالقي (٣١)، فقال : اني كنت أدعو الله تعالى أن يأتيني بك، وقد فعل، فالحمد لله • فأخبرته بما كان مني، ثم جلست عنده، فقال : أنشدني ! فأنشدته لبعض الأندلسيين :

غضبوا الصباح، فقسّموه خدودا! واستوعبوا قُضْب الأراك قُدودا!

ورأوا حصي الياقوت دون نحورهم فتقلّدوا شُهَب النجوم عقودا !

لم يكفهم حدّ الاسنة والظبي حتى استعاروا أعينا وخدودا (٣٢)

« فصاح الشيخ، وأغمي عليه وتصبّب عرقاً، ثم أفاق بعد ساعة، وقال : يا بني ! اعزرنني، فشيئان يقهراني، ولا أملك نفسي عندهما : النظر إلى الوجه الحسن، وسماع الشعر المطبوع » (٣٣) •

وقد حفّلت ترجمة أبي محمد، التي قدمها لنا ابن عبد الملك، بشواهد من مخاطبات كانت بينه وبين صديقه المالقي أبي الحجاج بن الشيخ • ويلاحظ أن أبا الحجاج كان البادئ فيها برسائل نثرية وشعرية، وابن الأصم يستجيب لها بنثر منه وبشعر •

## ٥ - أبو الحجاج بن الشيخ :

ومن المؤسف لنا اليوم، أن ترجمة أبي الحجاج في « الذيل والتكملة » • - التي كان ابن عبد الملك قد وعد، لدى ترجمته لابن الأصم، بأنها آتية - قد وقعت في سفر من أسفار الكتاب مفقود، أو هي سقطت من آخر الأسفار، الثامن، الذي حقّق ونشر بصفته قطعة من السفر وليس السفر كاملاً !

ولكن ابن الأثير ترجم له في « التكملة » • فسماء : يوسف بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن غالب البكوي، المالقي، أبو الحجاج، يعرف بابن الشيخ • ولد سنة ٥٢٧ هـ، وتوفي

في رمضان ٦٠٤ (١٢٠٨ م) . وقد رحل - وله من العمر ثلاثة وثلاثون سنة - الى المشرق لأداء الفريضة وتحصيل العلم ، فأخذ في بجاية والثغر ومكة المكرمة . « وكان منقطع القرين في الزهادة والعبادة ، مُجهداً في العمل ، يُشار اليه باجابة الدعوة » .

وقد وصفه في هذه الترجمة بأنه كان « موفور الحظ من علم اللغة والأدب متقدماً فيهما ، مشاركاً في العربية والفقه والأصول ، من العلماء العاملين ، مؤيداً على الطاعات مُعاناً عليها » . وذكر أنه « بنى في بلاده مائة خمسة وعشرين مسجداً من صميم ماله ، وعمل فيها بيده ، وحفر بيده آباراً عدة أزيد من خمسين بشراً (٣٤) . وغزا عدة غزوات مع المنصور بالمغرب (٣٥) ومع صلاح الدين بالشام (٣٦) .

وبدا أن شخصيته الفكرية قد استوقفت المستعرب الاسباني أنخيل جنثالث بالنيثيا ، فأفرد له فقرة في كتابه « تاريخ الفكر الأندلسي » ، قدم فيها عنه معلومات مركزة لقرائه من الاسبان ، قال :

« ... وله رحلات الى المشرق ، جمع فيها ملاحظات طريفة ، كوصفه لمنارة الاسكندرية ، وهو أكمل وأدق ما لدينا عن هذا الأثر الجليل . وقد وضع لابنه « كتاب ألف باء » ليعلمه ويؤدبه (طبع في القاهرة ١٢٨٧ هـ) ، وهو أشبه بموسوعة جامعة لفنون الثقافة العامة ، وقد كتبه في أسلوب بليغ والتزم فيه السجع بين الحين والحين ، ورتب مواده على حروف المعجم . تناول ابن الشيخ في كتابه موضوعات في الحساب والطبيعة والنبات والحيوان ، وتكلم على الانسان (صفة أعضائه وملامح وجهه وفنائه ورفضه) ، وتحدث في علم الاجتماع والشريعة والأديان والمذاهب وفقه اللغة ومخارج الحروف والنحو ومعاجم اللغة وعلم الصرف والشعر والحكايات والأساطير . والكتاب عبارة عن موسوعة مختصرة تجمع أطراف ثقافة أوساط الناس في عصره وتجعلها في متناول قارئه » (٣٧) .

وأورد المَقْرِي ، في تتبعه الكلام الأندلسيين الدال على سَبَقهم ، هذين البيتين لابن الشيخ :

أطلب لنفسك فوزها ، واصبر لها      نظر الشفيق ، وخف عليها واتق  
من ليس يرحم نفسه ويصدنها      عما سيهلكها ، فليس بمشفق! (٣٨)

## ٦ - الجارة .. التي تهوى التعذيب !

نحن ، اذن ، بازاء شاعرين أندلسيين ذَوِي سمات اسلامية واضحة . ولكن ما نحن بصدده ليس شأناً دينياً ، بل هو أدبي شعري ، وعلى وجه التحديد: بيتان من الشعر التقليدي ، يتعلقان بالمرأة ، وبشكوى المحب من ظلم المحبوب وتجنیه ، مما جرى الشعراء العرب ، في توالي عصورهم ، على التعبير عنه ، والتفني به ، وإنشاده في المجالس ، إثارة للمشاعر وإطلاقاً للخيال ... دون الاهتمام بما ان كان هذا الشعر يستند الى تجربة في الحب واقعية أو متخيلة ، وليس يتطلب فن الشعر ذلك على كل حال !



والبيتان ، اللذان كان ابن الأصم قد أنشدهما يوماً لصديقه ابن الشيخ ، هما  
(من بحر الوافر) :

باحدى هذه الغيمات جاره ترى هجري وتعذبي تجاره  
وكم ناديت : يا هذي ارحمينا ! فلسنا بالحديد ولا العجारे (٣٩)

في البيتين شكوى من شكاوى الحب التقليدية . ولكن الطريف في هذه الشكوى ، أن  
الشاعر توسل ، للتعبير عنها ، بالمألوف واليومي من الألفاظ والمعاني ، حتى ليخيّل الى قارئ  
اليوم - وقد انقضى ما يزيد على ثمانية قرون من عمر البيتين - أنهما من قريحة شاعر معاصر !

وبدا أن أبا الحجاج بن الشيخ قد استحسنهما . يقول في سجع مما كان يمليه  
العصر (٤٠) : « فأنشدهما ، ذات يوم ، جماعة من الاخوان ، من أهل الحذق والاتقان ، فكل  
استملحهما ، حين لمحهما ، وومقهما ، اذ رمقهما ، واستحلاهما ، لما نشرت حلّاهما ،  
متابعاً الراوية :

الى أن قال أحدهم : « هذا السحر الحلال ، والماء الزلال ، لكن تعالوا نذيل البيت الأول ،  
على ألا مطمع لكم في قافيته ولا معول ، لأنه التزم فيها خمسة أحرف تباعاً ، وهذا شيء  
يقصر كلكم عن الاتيان بمثله باعاً (٤١) ، وأما قافية الثاني فربما ، على أنها أبعد من  
السما ! » .

فقلت له : « يا هذا ! لقد ضيّقت واسعاً ، وآياست طامعاً ، وزعمت أن ليس في الحي ،  
من حي ، ولا في النادي ، من نادي ، ولعل من تزدريه ، يذريه ، وعسى من تحقره يجب ،  
بالأمر العجيب ! » .

فقال : « بسم الله ادع' التّزال بهذا الميدان ، وابرز' للقتال ان كان لك به يدان ! » .

فقلت : « ليخرج كل واحد منكم ما عنده ، وليجهد جهده ، وليقل على قدر وسعه ، ورقّة  
طبعه ، ثم لتبعث به الى قائل البيتين ، والنحكمه فانه عدل' ما عنده ميّن ، يميّن  
الطيب من الخبيث ، والجيد من الرّثيث » .

ثم يقول أبو الحجاج :

« فرضي كل منا بهذا القول ، واستعنا بذئ القوة والحول ، والمنّة والطول ، وقال  
كل فصيح منهم ما أمكن ، وزاحمتهم أنا بلساني الألكن ، والقيت دلوي في دلائهم ،  
وجعلت أمشي خلف أدلائهم ، ثم جمعت ما نظموه ، ورفعت ما رسموه ، وبمشت به  
اليه طرائق قددا ، ولم أسم' من قائله أحدا (٤٢) ، بيد أنني أخّرت شعري لركنته ، وقدمت  
شعري لركته ، وكتبت بهذه الأبيات ، التي ذكرها يات ، أقمتها مقام الرسالة ، وان لم  
تكن ذات جزالة ، فأنك تصل الى مفهومها ، من منظومها ، واتقف على المعنى الواحد فيها ،  
من قوافيها ! » (٤٣) .

## ٧ - الشعراء « المتسابقون » :

كان عدد الشعراء ، الذين « تنافسوا » في هذه المعارضة الاخوانية ، سبعة ، وثامنهم راوي البيتين أبا الهجاج بن الشيخ . ومن المؤسف - كرة ثانية - أن المصادر الأندلسية ، التي رجعت إليها أملاً في التعريف بهم ، لم تنجذني الا يسيراً ، ولعل ذلك لأن الرواية اكتفت بالإشارة إليهم بالكُنَى ، مما فوت فرصة تتبع أسمائهم في كتب الطبقات (٤٤) . والشعراء هم :

- الأول : الهجاج أبو عبدالله بن سلمة . وقد قدّم ، بعد البيت الأول ، ثلاثة أبيات له .
- الثاني : أبو عبدالله بن الحناط . قدّم ، بعد البيتين ، ثلاثة أيضاً (٤٥) .
- الثالث : أبو القاسم الكاتب . قدّم ، بعد البيتين ، ثلاثة .
- الرابع : أبو علي القرطبي . قدّم ، بعد البيتين ، ثلاثة أيضاً .
- الخامس : أبو علي بن كسرى . قدّم ، بعد البيتين ، بيتين له .

وقد ترجم ابن الأثير لهذا الشاعر : حسن بن محمد بن علي الأنصاري ، من أهل مالقة ، أبو علي ، ويعرف بـ « ابن كسرى » . أخذ بعض علمه في مراکش . أديب ، صاحب منظوم . توفي بمالقة سنة ٦٠٣ ، أو ٦٠٤ (٤٦) .

وذكره المقرئ : أبو علي الحسن بن كسرين (٤٧) ، المالقي ، الشاعر المشهور . وقد على أمير اشبيلية ، أبي اسحاق ابراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن (من الموحدّين) ، فأنشده قصيدة طار مطلعها في الأقطار كل مطار :

قسماً بجمصر ! انه لعظيم فهي المقام وأنت ابراهيم (٤٨)

- السادس : أبو عبدالله الحجّاري . قدّم ، بعد البيتين ، بيتين له .
- السابع : القرشي بن أحمد . قدّم خمسة أبيات .
- والثامن : هو أبو الهجاج بن الشيخ . قدّم ، بعد البيت الأول ، ستة أبيات .

## ٨ - رسالة في التماس « التحكيم » :

تضمنت رسالة أبي الهجاج إلى صديقه ابن الأصم - التي جاءت أشبه بما نسميه اليوم « صك التحكيم » - مقطوعات شعرية له ثلاثاً ، عرض فيها المسألة على الشاعر المحكّم ، مغرضاً إليه أمر التحكيم : « فاحكم بحكمك ان حكمك نستجيده » ، وأخذ على عاتقه أن يقبل المتبارون بحكمه ، متعهداً ومتوعداً - وكان ذلك منه أمراً إدّاءاً ! - بأن « من لم يقطع يقطع ، بأمركم ، وريده » ! وقدّم ، في ذلك ، المقطعات الشعرية المعارضة الثمانية ، التي أثّرنا أن ننقلها من نص هذه الرسالة إلى نص رسالة المحكم أبي محمد بن الأصم ، رغبة منّا في أن نجتمع بين كل مقطوعة وبين الرأي المدلّي به حولها في مضمّار واحد .

يقول أبو الحجاج بن الشيخ (بحر الوافر) :

« أتاك الشعر ، قد حشرت جنوده  
بكل مدجج بطل كمي ،  
معسكره تفضل البلق فيه  
ولكن لا ترع ، فالكل سلم  
وبعد ، اسمع ، أقل ، ولرب قول  
تجمعنا ، نقول الشعر يوماً  
فذيّلنا لكم بيتاً ، كسته  
وكل يدعي أن المعلى  
فقد مناك للتمييز ، فاحكم  
قانت أمام أهل الشعر طراً  
وانت نسيج وحدك ، لا تبارى  
وهذي الخيل قد عرضت ، فعرب  
وضع وارفع ، وقل تسمع ، ومن لم  
أدام الله لك العافية .

« لما كان الشعر المذيل على غير هذه القافية ، أردت أن تكون قافية شعر هذه  
الرسالة كتلك ، فقلت والله الملك :

« تذاكرنا القريض وقائليه  
فقالوا: الشعر سهل ! قلت : كلا  
حسبتم أن حوك الشعر مثل ال  
فقالوا: ذاك أسهل ! قلت: أين الش  
أنا آتيكم منه بيت  
فقالوا: هات ! قلت لهم : أجيروا  
فقالوا لي : وأنت فقل ! فقلنا  
وطال بنا النزاع ، وليس منا اذ  
بفضلك ، يا فقيه ، احكم علينا  
وقل حقاً ، ولا تستحي منّا

لنعلم فرعه ونرى نجاره  
أروني ، من صدوركم ، انفجاره  
- حياكة والخياطة والتجارة !  
- جاع يلج على أسد وجاره ؟  
وأعطي من يذيّله الإجاره  
« باحلى هذه الخيمات جاره »  
وكل يدعي أن بذّ جاره  
رؤ ، من ذاك ، صاحبه أجاره  
بحكمك واغتنم هذي التجاره  
ومن يغضب بعض على الجاره »

وبعد أن يقدم أبو الحجاج المقطعات الثماني ، مغفلة من أسماء أصحابها ، يختتم  
رسالته بقوله :

« يا سيدي !

« لك الفضل ، بيّن لنا من أصابَ      طريق الصواب ، ومن أخطأ ؟  
ومن كان في السَّيَرِ مستعجلاً      ومن سار قصداً ، ومن أبطأ ؟  
ومن نخلُ بستانه أثمرتْ      ومن زرعُ فدائه أشطأ ؟  
فكلٌّ يرى أن أرضَ القريض      بخيلِ الإصابة قد أوطأ !

« أدام الله عزك !

« هذه الأخبار لم يزل أهل الآداب يستطرفونها قديماً وحديثاً (٥٠) ، ويسرون إليها سرّاً حثيثاً ، وأنت - وفقك الله - وإن كنت قد تركت هذه الطريقة ، وسلكت سبيل الجِدِّ والحقيقة ، فلك - والحمد لله - باخوانك اهتمام ، ولا سيما بمن بينك وبينه ، أي ذمام ، وأيضاً فللكتاب جواب ، وهو في اللزّام كرد السلام ، فلا يثقل عليك - أتم الله نعمته لديك - وأجب بما تيسر وخفّ ، فقد مددنا إليك كلّ مقلّة وكف .  
« والسلام عليك ، ورحمة الله ، وبركاته » (٥١) .

٩ - « تقرير التحكيم » !

وقد جاءت رسالة أبي محمد بن الأصم أشبه بما نسميه اليوم « تقريراً » من المحكّم ، أو من « لجنة التحكيم » ، لولا أن الطابع الأدبي الشخصي ، في الرسالة ، قد غلب على النزعة العلمية الموضوعية ولكن لم يطمسها !

فقد كان « المحكّم » يتوقف عند هذا البيت أو الشطر أو المعنى ، من هذه الأبيات أو تلك ، ويترك النظر في سائرهما ، مستجيباً في ذلك الروح الدعابة . فان ما كان يكتبه ، في ساعته تلك - سقى الله أيام فردوسنا المفقود ! - لم يعد أن يكون رسالة « اخوانية » . وغني عن البيان أنه ما كان ليدور في خاطره ، وهو يخطئها ، أن سيحتضنها - بعد مئة عام - كتاب يؤلّفه من اسمه ابن عبد الملك الانصاري المراكشي ، ولا أن « موضوعاً » سيدور حولها بعد سبعمئة سنة أخرى !

يقول الفقيه أبو محمد بن الأصم :

« بسم الله الرحمن الرحيم .

« صلى الله على محمد ، وعلى آله ، وسلم تسليماً .

انّ خليلاً لي من قضاة  
ذكّرني أيامي المضاع  
إذ الهوى واللهو لي بضاع  
مهلاً ! فذاك الدرّ قد أضاع  
خلك لم يستدِر ارتضاع

« أيها الحسيب ! إلى متى هذا التغزل والتسيب ؟ ألم تنفد أيام الجهل ؟ ألم يعد الفتى كالكله ؟ أما والله ، لقد أحاطت بالرقاب السلاسل (٥٢) ، وأن أن يخاف ، من العقاب ، المتغزل المراسل ! (٥٣) » .

« رويدك - وأنا المراد - رويدك ! فقد طالما أوهنت في تلك الخزعات عمرك وأيدك ، وعصيت في النصيح عمرك وزيدك ، واتبعت الأثر وتركت صيدك . ودراك دراك ، سكون الحراك ! وخل عنك ساجعات الأيك ، وقل لها : وراءك وإليك ! (٥٤) » .

« ثم ما أنت وعهد « ساكنات الخيام » (٥٥) ، وإن كانت من مباركات الأيام ؟ كم تسأل عن أنباء سعاد سعاد ! هلا قلت قول الألباء سحقا للهوى وبعدا ؟ هذا أوان الشر ، يا من أرمى على الأثر !

« تعال فلنخلع تلك اللينيات من الملابس ، ولنرجع عن الترهات البسابس ، ولننذر الديار وساكناتها ، ولننقر الأطياف على وكناتها ، ولنذهب في منهاج من صالح العمل ، ولنذهب لانزعاج ليس يسمى به الجمل (٥٦) ، هذا ، والله ، هو الرأي السديد ، عند ذوي الرأي الحديد !

« ومع هذا فلا بد أن نسلك في مسالك أدنى سبل الاسعاف ، ونتمسك من الجواز بالأحبل الضعاف ، ونستدق حلاوة أخبار الاستهتار فلها طعم لذيد ، ونصدق إزراء من آتانا بها صفراء يزعم أنها نبينا !

« وقد ذكرت أن قوما من الشعراء ، ذيلوا لي بيتا قد كان عتدي منبوذا بالعراء ! وأردت أن أقف على أبياتهم ، وأعرف كيف تفاوتهم في غاياتهم ، وزعمت أن لي بصرا بالتفريق ، بين من سار قصدا أو حاد عن الطريق ، فسأف عليها وإن كان الباع قصيرا ، ولم يكن الناقد بصيرا :

فان لا أكن كل الشجاع ، فاني بضرب الطلى والهام حق عليم  
والا أكن كل الجواد ، فاني على الزاد ، في الظلماء ، غير لثيم (٥٧)

● [ الشاعر الأول : الحاج أبو عبدالله بن سلمة ] :

باحدي هذه الخيمات جاره ترى هجري وتعذيبي تجاره  
وتبسم عن أقاح لؤلياتي وقلب غضنفر قد اتى وجاره  
فلولا أن مرأ خاف ربنا فيستحي ويسترعي نجاره  
لعض بصارم غضب رؤوسا تكاليتها بضرب كالنجاره (٥٨)

يقول ابن الأصم :

« قال أحدهم : فلولا أن مرأ خاف ربنا . . . (البيت) ، هذا كلام لا يصدر إلا عن الرصين المذهب ، الذي لا تستغزه ذوات العيون والبنان المخضب ، وما أقربه من منزلة الفلاح ،

من خافريته في مواصلة الملاح! والشد ما أبرق في شعره وأرعِد ، وتهدد وتوعّد ، وموّه  
وشعوذ ، واستطال على الجزالة واستحوذ ! عفا الله عنه ، ان لم يكن ذا صارم غضب ،  
فانه ذو لسان عذب ! « (٥٩) » .

● [الشاعر الثاني : أبو عبدالله بن الحنّاط] :

تري هجري وتعذيبي تجاره	باحدي هذه الخيمات جاره
فلسنا بالحديد ولا العجاره (٦٠)	وكم ناديت : يا هذي ارحمينا !
( ..... ) (٦١) جاره	فقطت ، عندما سمعت ، وقالت :
فقد البستني برّد الاجاره	أما تخشي إلهك ، يا منعني ؟
ولم تسألني من نار اجاره (٦٢)	أغرك حلمه ، فنفقت زورا

يقول ابن الأصم :

« وتاليه على أحسن هدي وأمّ ، وهما في الخشية رضيعا ثدي أمّ ، وصاحبتيه واعظّة  
فصيحة ، نصحتيه والددين النصيحة ، وكررت الوعظ وكسرت النعظ ، لله درها ! لقد علا  
في الصالحات قدرها » (٦٣) .

● [الشاعر الثالث : أبو القاسم بن الكاتب] :

تري هجري وتعذيبي تجاره	باحدي هذه الخيمات جاره
فلسنا بالحديد ولا العجاره	وكم ناديت : يا هذي ارحمينا !
ومن أشاركنا يرجو انسجاره ؟	فمالت نحو خيمتها وقالت :
قطعنا من حبالنا هجاره	قلا يك طامعا في النيل ، انّا
وربّتنا يحلّل بالاجاره (٦٤)	وانّ وصلنا بسلّ حرام

يقول ابن الأصم :

« والثالث غير مبغوس الكيّل ، وهو القائل : « فلا تك طامعا في النيل » ، وانه من  
النسيب ، لموفور النصيب ، وان حرمتيه صاحبتيه وصلا ، وجعلته حراما بتلا ، فقولها :  
« وربّتنا يحلّل بالاجاره » ، دليل على أن قد لان بعض الجاره ، وقد أوجدت السبيل  
الى التحليل ، غير أن « ربّ » للتقليل ! « (٦٥) » .

● [الشاعر الرابع : أبو علي القرطبي] :

تري هجري وتعذيبي تجاره	باحدي هذه الخيمات جاره
فلسنا بالحديد ولا العجاره	وكم ناديت : يا هذي ارحمينا !
أجيره من الشكوى اجاره	أجيبني هائما صبّا مشنوقا
ويرحم في صابته نجاره	فمثلك قد يرقّ مستهام
أصار بحسنه قلبي وجاره (٦٦)	سلام طيب عبق على من

يقول ابن الأصم :

« واليتني كنت جاراً ، لمن أصار حسن الجارة قلبه لها وجاراً ! هذا العاشق حقاً ،  
وسحقاً لمن قال : « فسَلَّيْ ثيابي من ثيابك » سحقاً ! (٦٧) لقد توسل في شعره بلطف سبب ،  
وأشار إلى شريف نسب ، واجاد الخضوع لمحبوبه ، والضراعة ، حتى كاد يُمدُّ إلى مطلوبه  
ذراعه » (٦٨) .

● [الشاعر الخامس : أبو علي بن كسرى] :

باحدي هذه الخيمات جاره ترى هجري وتعذبي تجاره  
وكم ناديت : يا هذي ارحمينا ! فلسنا بالحديد ولا التجاره  
سلي في ملتقى الخيلين زحفا اذا سأل الردى مني الاجاره  
هنالك تعرفين خطير قدري وتسترضين من حر نجاره (٦٩)

يقول ابن الأصم :

« ولقد أرسل نهاره في الحرب وارداً وحفاً ، من قال : « سَلَّيْ بي ملتقى الخيلين  
زحفاً » (٧٠) ، فان يصدق فلست في لبس ، انه اشجع من أخي عبس ، الا تراه يقول :  
« اذا سأل الردى مني الاجارة ؟ فهذه بليّة ، زائدة على المنية ، وعنترة يقول :

ان المنية لو تمثّل مثلت مثلي ، اذا نزلوا بضنك المنزل

« فهنا يزعم أنه يشبه الموت ، وبينه وبين من يستجير منه الردى فوت ، وان صح  
دعواه ، عند من يهواه ، جنت يُمناه ، ثمّر مناه ... » (٧١) .

● [الشاعر السادس : أبو عبدالله الحجازي] :

باحدي هذه الخيمات جاره ترى هجري وتعذبي تجاره  
وكم ناديت : يا هذي ارحمينا ! فلسنا بالحديد ولا التجاره  
اجيري هائماً كلّيفاً مُعَنّي فكم ظبي سواكم قد اجاره  
شريف الحب ، ليس يريد وصلنا سوى لثم ، فصل فيه نجاره (٧٢)

يقول ابن الأصم :

« وحبذا القائل : شريف الحب ... (البيت) ، هذا رجل يرجع الى عفاف ، ويقنع  
بكفاف ، سلك في هواه أحمد طريقه ، وقنع ممن يهواه بمجّه ريقه ، ليس كالعسل ،  
الطالب للنسل ! واذا تمادت العلة ، واشتدت الفلة ، فلا شاف ، كارتشاف ، ولا مطفىء  
حريق ، كرشفة ريق ! ولعمري لقد شارك في الصفة ، من كان عنه الضمير فاسق الشفّه !  
أيومن هذا الفاضل وأين من ؟ ومثله فليؤتمن ! غير أنه يبعد عندي أن يكون الجازر  
ينفخ ، ولا يسليخ ! وكيف تجتمع شفاه الأحباب ، ثم لا تفرح حلقة الباب ؟ ! وهل سمعت بمن  
رتع حول الحمى وان كان محترزاً ، الا اذا صيرّه جرّزاً ؟ ! » (٧٣) .

● [الشاعر السابع : القرشي بن أحمد] :

[باحدي هذه الخيمات جاره -  
وحاش الحسن منك - فديت - أن لا  
فرحمي منك ، أو عتبي إلينا  
بحكم الحب ذاب جوى ، وطرفي  
ومن تصد العيون له فؤاداً  
تري هجري وتعذبي تجاره -  
ينجر من البعاد من استجاره  
فقلبي من هوى يابى ازجاره  
أبى ، من دمه ، الا انفجاره  
تبّت حوباؤه للشوق جاره ! (٧٤)

يقول ابن الأصم ، متسائلاً :

« وخبرني : أمالقي ، من سأل في شعره العتبي والرحمي ، أم عراقي ، وقد سكن  
الرحمي ؟ ينساب في توصّله إلى المأرب أنسياب الأيم ، ويلج بلطف توسله على الكواكب  
أبواب الخيم ، وكل رفيق ، قدو توفيق ! » (٧٥) .

● [الشاعر الثامن : أبو الحجاج بن الشيخ !] :

[باحدي هذه الخيمات جاره -  
برؤيتها تظن ، وكل جار  
فتاة من بني النجّار (٧٦) تأتي  
تعمّم رأسها بصفير فرع  
فتنت بها ، وقد فتنت قديماً  
وتشتجر العوالي في هواها  
واني مستجير من هواها  
تري هجري وتعذبي تجاره -  
علمت - يرى مع الساعات جاره  
من القلب الشجي الا انتجاره  
وتحكّم ، يا خليلي ، اعتجاره  
حجيج مني ، وقد فتنت تجاره  
وكل يرتضي فيها اشتجاره  
ولكن ليس تنفع الاستجاره (٧٧)

يقول ابن الأصم :

« وأما الذي فتنته إحدى بنات النجار ، فروضه في الشعر أنف الينمة والجرنار (٧٨) ،  
نيّف على أخوانه في اللزوم ، وزحف إلى أقرانه مشدود الحيزوم (٧٩) .

« غير أن في شعره : « فتنت بها وقد فتنت قديماً ٠٠٠ » (البيت) ، اني أسأله  
عن هذه المرأة ، يا أبا الحجاج (٨٠) : كيف فتنت قديماً قلوب الحجاج ، ثم لم يغيّر  
القدم بهجتها ، منذ قضت حجتها ؟ ولم يزل القدم يغيّر الحدود والرسوم ، فكيف  
الحدود والجسوم ؟ وأخبر أنها الآن تعمّم رأسها بصفير فرع ، وهذا رأس يجب أن يكون  
أرضاً غير ذات زرع ، وليس هنا شبهة ، في أنه كلّه جبهة ، ومن أخبرك من الفتيات  
الناسكات أنها مسنة ، فقل لهن أن إنّه ، مستحيل غير جائز ، أن يفتتن هذا الشاعر  
بالعجائز !!

« فان أزال لفظة « قديم » ، فأنا له أصحب من نديم ! » (٨١) .



## ● [ ختام الرسالة ] :

« ثم نعود الى استغفار الملك الغفار ، فان رحمته واسعة ، وعن المحسنين غير شاسعة ، اللهم اجعلنا من عبادك المحسنين ، واغفر لنا ما اجرمنا في سالف السنين ، واستعملنا بطاعتك بقية أعمارنا ، وأصلحنا في إعلاننا واضمارنا ، انك كريم رحيم . »

« أعزك الله . ربما كان في كلامي بعض دعاية ، لم أذهب بها الى معاية ، فلك الفضل في بسط المندر لديهم ، وايصال التحية اليهم . »

« ثم السلام الأتم ، الأعم الأكرم ، على أخي ووليي في الله ، الفقيه الأجل أبي الحجاج ، ورحمة الله ، وبركاته » (٨٢) .

### ١٠- كلمة أخيرة :

في المقطعات الثماني التي قدمناها ، وفي الرسالتين المتبادلتين ، تتضح أمورٌ نحب أن نشير اليها :

أولاً : تتجلى ، في الرسالتين ، بعض خصائص أدب التراسل : من تبادل التقدير بين المرسل والمرسل اليه ، ومن تواضع الطرف الأول الى حد الازراء بالذات (أو بأدبها) ، مع الحرص البالغ على الاعلاء من شأن الطرف الآخر (المرسل اليه) .

ثانياً : لقد خلا ما أطلقنا عليه تجاوزاً « تقرير التحكيم » ، مما يمكن أن نسميه « الحيثيات » و « منطوق الحكم » ! الا أنه نمّ ، من ناحية ثانية ، على ثقافة المحكم في الشعر والتراث ، وكشف عن فهمه للنقش وللحياة .

ثالثاً : في المقطعات الشعرية اعتدادٌ من الشعراء بشاعريتهم ويرجولتهم ، وفيها شكوى من آلام العشق والهجر ، على ما ينبغي أن يتسم به الشعر العربي الذي يتفزل فيه الشاعر بمحبوبه . ولكنهم بدوا « مستسلمين » لحكم المحكم ، كما عبّرت عنه « رساله في التماس التحكيم » !

رابعاً - بدت الأشعار ملتزمة أخلاقياً . وكان المحكم - الذي شكّا ، في شببته ، من هجر جارت له ! - أكثر منها التزاماً بالدين والأخلاق ؛ وآية ذلك أنه ، وصفيته بلمتس التحكيم ، كانا ، في وقتها ، من فقهاء مالقة الموقنين .

وأخيراً : لقد تضاعف ، في المقطعات الشعرية جميعاً ، عنصر هو أهم عناصر الشعر الغزالي : العاطفة الصادقة ! وما ذلك الا لأن الأشعار جاءت تذييلاً لما قاله شاعر آخر ، ولم تكن من وحي الذات ، فكان أصحابها كانوا ينسجون على منوال غيرهم .

وبعد ...

تروي المصادر الأندلسية أن جماعة من أعيان الأدباء والوشاحين، في اشبيلية، اتفقوا، ذات يوم، على أن يصنع كل واحد منهم موشحة ... فلما أنشد أحدهم، « الأعمى التتيلي »، موشحته التي مطلعها :

ضاحكٌ عن جُمانٍ      سافرٌ عن بدرٍ  
ضاقَ عنه الزمانُ      وحواه صدري

خرق كل منهم موشحته ! (٨٣) .

والم نعلم أن واحداً من شعرائنا الثمانية قد خرق مقطوعته ! ذلك لأنهم - وقد ارتضوا أن يقدّموها للتحكيم - اعتقدوا أنهم قد تأتي لهم أن يضاهاها بها البيتين اللذين ذيلوا . ثم انهم ، بعد تبليغهم رسالة ابن الأصم ، كانت أشعارهم قد خرجت من أيديهم لتحتويها كتب الأدب .

ولكن أهمية دراستنا هذه لا تكمن في ما نتوقعه في تلك الأشعار من روعة الفن وبارع الابداع ... بل في طرافة الموضوع ، وفي محاولتنا ابتعاث الحركة الأدبية اليومية ، التي كان ينبض بها وطن ، نطق - عصر أطويلا - بلفتنا ، ثم - بتهاوننا وتراخيها - فقدناه .

#### □ الحواشي والتعليقات :

١ - ولد ابن عبد الملك بمراكش سنة ٦٣٤ هـ . كان مؤرخاً وأديباً ، ولي قضاء مراكش مدة ثم تحي عدة في خلقه ، صرف جل عمره في تصنيف هذه الموسوعة الأندلسية وما قدر له أن يتمها ، . وحكى ولده سميّه ، أبو عبد الله محمد ، أن الأب قصد ، أيام شببته ، عبور البحر يرسم الجواز إلى الأندلس ، فبلغ منها الجزيرة الخضراء ، وحضر بها صلاة جمعة واحدة ، وأقام بها ثلاثة أيام جائلاً في نواحيها أخذاً عن أهلها ، ثم قال : « حصل لنا الغرض من مشاهدة بعض البلاد الأندلسية والكون بها ، والحمد لله على ذلك ! » وعاد قافلاً إلى أرضه . توفي بتلمسان سنة ٧٠٣ هـ ١٣٠٣ م ، « كتاب المراقبة العليا » ( تاريخ قضاة الأندلس ) الصفحات : ١٣ - ٣٢ .

٢ - طبعت هذه الكتب الثلاثة غير مرة ، أولاها بمبريد في أواخر القرن التاسع الميلادي وآخرها بالقاهرة سنة ١٩٦٦ ضمن سلسلة « المكتبة الأندلسية » .

٣ - « الذيل والتكملة » ٠٠ : ٨ : ٧٨ و ٧٩ . ويقول الباحث المغربي الأستاذ محمد الفاسي : « واني اعتبر كتاب « الذيل والتكملة » ٠٠ أعلي ما بلغ إليه فن الترجمة عند العرب ، بترتيبه وتحقيقه وأسلوبه وتدقيقه ، وبحريته الفكرية ، وتصديده لنقد سابقيه نقداً نزيهاً ٠٠٠ » ، « الذيل والتكملة » ٠٠ : ٦ : ١ .

٤ - وتولت طبعها دار الثقافة ببيروت ما بين ١٩٦٤ و ١٩٧٣ ، عدا السفر الثامن الذي تعهدته أكاديمية المملكة المغربية سنة ١٩٨٤ .

٥ - الرضى ، بفتحين : ما يقوم حول المدينة من الأحياء ، ويقابلها في مصطلحنا اليوم : الضاحية .

٦ - « الروض المعطار ٠٠ » : ٥١٧ و ١٨ .

ويقول الباحث محمد عبد الله عنان أنه قد بنيت ، فوق انتقاض الجامع ، كنيسة مالقة العظمى ، التي ترجع الى القرن السادس عشر . ويقول أن مما بقي في مالقة من الآثار الاسلامية أثرا ذا أهمية خاصة ، هو السوق القديم ، الذي ما زال يحتل موضعه منذ العصر الاسلامي ، وهو يقع اليوم في وسط المدينة ، وهو عبارة عن ساحة مربعة واسعة مخصصة لبيع البقول والأسماك والطيور وغيرها . ومازال هذا السوق يحتفظ ببابه الأندلسي القديم كاملا ، وفي حالة جيدة ، وهو باب مرتفع ذو عقدتين ، وعلى جوانبه العليا زخارف وكتابات عربية يتخللها شعار بني نصر ملوك غرناطة : « ولا غالب الا الله ٠٠٠ »

ويقول ، رحمه الله : أن في جانب من مالقة « شبكة من الدروب الضيقة الملتوية ، تقوم عليها منازل متواضعة ذات طابق أو طابقين ، ومواقمها فيما يرجح تمت باوثق صلة الى جانب من خطط مالقة الاسلامية » .  
« الآثار الاسلامية الباقية في اسبانيا والبرتغال » : ٢٤٩ - ٥١ .

٧ - « الروض المعطار ٠٠ » : ٥١٨ .

٨ - وما دمتا في ذكر تين أشبيلية والاشارة الى دخوله في الادوية ومنفعته ، فانا نحب أن نذكر بما أورده ابن أبي أصيبعة في ترجمته للطبيب الاشبيلي عيد الملك بن زهر ( ت ٥٥٧ هـ ) ، فقد كان يعاصره في اشبيلية حكيم فاضل في صناعة الطب معنى بالادوية المفردة ( من نباتات وغيرها ) ، وكان ابن زهر مغرما باكل ذلك التين الاشبيلي الطيب ! على حين أن صديقه الحكيم كان « لا يفتلي منه شيء » ، وان أخذ منه شيئا فتكون واحدة في السنة ! ، فكان يقول لابن زهر : « لا بد أن تعرض لك نغلة صعبة بمداومتك أكل التين ! » ( والنغلة في مصطلحنا اليوم : التقيح الفغفريني أو الأكالبي Pyodermic gangréneuse ) فيجيبه ابن زهر : « ولا بد لكثرة حميتك وكونك لم تأكل شيئا من التين ، أن يصيبك الشناج ! ٠٠٠ »

تقول الرواية : فلم يمت هذا الحكيم الا بعله الشناج ، وكذلك مات ابن زهر من نغلة في جنبه !!  
ويضيف ابن أبي أصيبعة : « وهذا من أبلغ ما يكون من تقدمه الانذار » .

« عيون الانبياء في طبقات الأطباء » : ٥٢٠ .

٦ - في الإسبانية : Rey ملك ، و Reina ملكة أو سلطنة .

ورثه ، أو رثه ( بالضم ، كما في « الروض المعطار ٠٠ » ) ، هي التسمية القديمة لمالقة ، كما تقدم القول لابن سعيد .

١٠- المتكلم هو علي بن موسى بن محمد بن عيد الملك بن سعيد . وجده الأخير كان صاحب قلعة بني سعيد قرب غرناطة والأب « موسى » ( ت ٦٤٠ ) كان قد تولى ، في عهد المتوكل بن هود ( ٦٢٥ - ٦٣٥ ) ، أعمال الجزيرة الخضراء ، المظلة على مضيق جبل طارق .

١١- « المغرب في حلى المغرب » ١ : ٤٢٣ و ٢٤ .

١٢- محمد عبد الله عنان : « نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين » : ٢١٦ و ١٧ .

وانظر أيضا : « نبذة العصر في انقضاء دولة بني نصر » ( آخر أيام غرناطة ) مؤلف أندلسي مجهول ، تحقيق الدكتور محمد رضوان الداية : ٩٢ - ٩٥ .

١٣- « الآثار الاسلامية الباقية ٠٠ » : ٢٤٢ و ٤٣ ( ط الثانية ١٩٦١ ) ٠٠٠ والى اليوم يضرب المثل ، في بلاد الشام ، بـ « الصعون المالقية » تلك المصنوعة من فاخر الخزف .

١٤- « الروض المعطار ٠٠ » : ٥١٨ .

ومروان بن محمد بن مروان بن الحكم ، آخر خلفاء بني أمية في الشام ( ١٢٧ - ١٣٢ هـ ) . تصدى لأصحاب الدعوة العباسية التي تنامت في عهده ، وانهزم جيشه أمامهم في لقاء معهم قرب الموصل ٠٠٠ ثم قتل في بوسير ( من أعمال مصر ) . والمسودة هم العباسيون ، لاتخاذهم الراية السوداء .

١٥- « نفع الطيب ٠٠ » : ٣ : ٣٩٧ . وانظر : « المغرب ٠٠ » : ٤٣٣ .

والخال غانم ( ت ٤٧٠ ) أديب مالقة في عصره . له شعر ، وعلم باللغة والحديث والطب والكلام . وهو من شعراء « الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة » لابن بسام الشنتريني .

١٦- « الروض المعطار ٠٠ » : ٨١٥ ٠٠٠ وانظر في تفصيل ذلك : « أعمال الأعلام » ، للسان الدين بن الخطيب : ٥٥٢ و ٥٥٤ .

١٧- « الذيل والتكملة ٠٠ » ٤ : ١٩١ - ٢١٧ . وانظر أيضاً : فاضل السباعي : « تواضع العلماء » ( مجلة « الخفجي » ديسمبر ١٩٨٧ ) ، وفي المقال صورة مثالية لتوقد الذهن ونبل التواضع .

١٨- « الروض المعطار ٠٠ » : ٥١٨ . وانظر : « المرقبة العليا ٠٠ » : ١١٢ .

١٩- « المغرب ٠٠ » ١ : ٤٢٩ .

وابو العلاء مامون . هو ادريس بن يعقوب المنصور ، من سلاطين دولة الموحدين ، كان حكمه من ٦٢٤ - ٦٢٩ .

٢٠- « الذيل والتكملة ٠٠ » ٥ : ٤٩٥ و ٩٦ .

٢١- ابن ابي اصيبعة : « عيون الأنباء » : ٦٠١ و ٦٠٢ .

ومما هو جدير بالذكر ان المستعرب الفرنسي ، الطبيب ، لوسيان لوكلير Lucien LECLERC ( ١٨٤٦ - ١٨٩٣ ) ،

ترجم موسوعة ابن البيطار الى الفرنسية وطبع في باريس في السنوات ١٨٧٨ - ١٨٨٣ .

٢٢- « المرقبة العليا ٠٠ » ١٣٢ ، و « الذيل والتكملة ٠٠ » مقدمة المحقق ( الدكتور محمد بن شريفة ) ٨ : ٦١ و ٩٤ .

٢٣- « الاحاطة في اخبار غرناطة » ٢ : ٥٢٨ .

٢٤- « نهاية الاندلس ٠٠ » : ٢٠٦ و ٢١٦ .

٢٥- المنشأة : من حصون مالقة ( « نفح الطيب ٠٠ » ٤ : ٩١٥ ) .

٢٦- البيتان في : ابن الأبار « التكملة لكتاب الصلة » ( طبعة مجرىط ١٨٨٧ ) ٢ : ٦٤٣ ، و « نفح الطيب ٠٠ » ٤ : ٣٢٨ .  
ويلاحظ التزام الشاعر بخمسة احرف في قافيته !

٢٧- « الذيل والتكملة ٠٠ » ٥ : ٧٦ و ٧٧ .

٢٨- « الذيل والتكملة ٠٠ » ٥ : ٧٥ . وانظر أيضاً : « صلة الصلة » لابن الزبير ( ت ٧٠٨ هـ ) ، تحقيق لاني بروفنصال ، ص ٢٨ و ٢٩ .

وعطاء الذي عرف يابن اخت غالب ، مالقي ، « كان متين الأدب ، شاعراً مجيداً ، خطيباً بليغاً ، يعاشر الملوك ويجالسهم » ، توفي سنة ٦٠٨ ( « الذيل والتكملة ٠٠ » ٥ : ١٤٨ ) . ولم نهتد ، في المصادر التي بين ايدينا ، الى ترجمة لغاله « غالب » ، الذي يلاحظ انه سمي لاييه « غالب الهمداني » .

٢٩- « من نحاة مالقة المشهورين ، كان ينقريء فيها العربية » ، وله شعر ( « المغرب » : ١ : ٤٣٣ ) .

٣٠- وليس « جامع مالقة » !

٣١- هكذا ورد اسمه هنا . ذلك ان بعض الروايات تبدل بين اسمي الاب والجد ، فتسميته : عبد الوهاب « بن علي بن محمد » المالقي . انظر : « التكملة ٠٠ » ٢ : ٦٤٣ .

٣٢- هذه الابيات من قصيدة لابن البين البطلوسي . وقد وردت في « الذخيرة » ٢ : ٨٠٢ ، و « المغرب ٠٠ » ١ : ٣٧٠ .  
وابن البين ، ابو عبد الله محمد ، كما وصفه ابن بسام : « أحد الشعراء المجيدين ، كان بحضرة بطليوس ، مستظرف الالفاظ والمعاني » ( « الذخيرة ٠٠ » ٢ : ٧٩٩ ) .

٣٣- « نفح الطيب ٠٠ » ٣ : ٤٠٣ .

٣٤- كنا المعلن الى أن النهر ، الذي يمر بمالقة ، ليس بدائم الجري ، والى أن أهلها يشربون من الآبار .

٣٥- يعني : الأندلس . و « المنصور » هو يعقوب المنصور ( ت ٥٩٥ هـ ) أقوى سلاطين دولة الموحدين .

٣٦- « التكملة » ٥٠ : ٢ ، ٧٣٧ . والمقصود : السلطان صلاح الدين الأيوبي ( ٥٨٩ هـ ) في الحروب الصليبية .

٣٧- « تاريخ الفكر الأندلسي » ( ص ١٧٩ ) ، ترجمة الدكتور حسين مؤنس ، طبعة مصورة ( د . ت ) عن الطبعة العربية الأولى ، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ١٩٥٥ . وقد أغفلت الطبعة العربية إدراج العواشي ذات الأرقام ، مع أنها اثبتت أرقامها في المتن !

وأنغل جنثالث بالنشيا ( ١٨٨٩ - ١٩٤٩ ) كان استاذاً للعربية وآدابها بجامعة مدريد ، ومن أجل مؤلفاته بالاسبانية : « مستعربة طليطلة » أربعة مجلدات ضخام ، و « تاريخ الأدب العربي الاسباني » ( ١٩٢٨ ) هذا الذي نقل الى العربية باسم « تاريخ الفكر الأندلسي » .

ولست أكتف ما يتردد في خاطري حول الفارق الواضح بين ما أورده ابن الأبار في « التكملة » ٥٠ : من صفات لأبي الحجاج ابن الشيخ ، وبين نظيرتها مما استوقف المستعرب بالنشيا ! هذا الى أن إيا من الرجلين لم يشر قط الى شيء مما تحدث عنه الآخر ٥٥٥ فكان المعنى شخصان !

٣٨- « نفح الطيب » ٥٠ : ٣ ، ٢٢٧ .

٣٩- « الذيل والتكملة » ٥٠ : ٥ ، ٧٧ .

قلت : ربما انشدهما أبو محمد بن الأصم لصديقه أبي الحجاج ، وهما معاً في أحد كروم التين تلك ! على أن البيتين ، يقينا ، ليسا مما جادت به قريحته أيام امامته لجامع مالقة ، وذلك لقوله - يوم اتصل بعلمه أن صديقه قد اشاعهما بين الناس - مزرية بأولهما بأنه بيت من الشعر « كان عندي مذبوذاً بالعراء » ، كما سيأتي . وهو وصف ، أن لم يتضمن معنى التنصل ، دل على انقضاء ما بينه وبين العهد الذي أوحى اليه بهما ! ويقلب على الظن أنه قالهما وهو في باديته، المنشأة ، في أيام شببيته .

٤٠- تأتي الرواية في ترجمة أبي محمد بن الأصم ، في السفر الخامس من « الذيل والتكملة » ٥٠ : ( ٧٥ - ٩٤ ) تحقيق الدكتور احسان عباس . وقد شغلت ، الرواية وحدها ، اثنتي عشرة صفحة ونصف الصفحة ( ٧٧ - ٨٩ ) .

٤١- يلاحظ أن الاعجاب بهذين البيتين - مع ما أضفى عليهما من فائق الثناء - منصرف الى التزام الشاعر في قافية البيت الأول « خمسة أحرف تباعة » ، هي في الشطر الأول : « ت جاره » ، وفي الثاني « تجاره » !

٤٢- كان أمراً حميداً من أبي الحجاج أن أغفل تسمية الشعراء المتبارين . وهذا ما غدا ، اليوم ، من التقاليد المتبعة في المسابقات الأدبية، تحقيقاً لعدالة التحكيم وتنزيهاً للمحكمن عن شبهة الانحياز وظنة الهوى !

٤٣- « الذيل والتكملة » ٥٠ : ٥ ، ٧٧ و ٧٨ .

٤٤- تجدر الإشارة الى أن ابن سعيد الأندلسي لم يجعل إيا من هؤلاء الشعراء الثمانية ، ولا ابن الأصم نفسه ، بين المختارين من شعراء مالقة ، الذين بلغ عددهم ثلاثة وعشرين ، في القسم الذي وسمه « مملكة مالقة : كتاب النفعة الزهرية في حلى مدينة رية » ( « المغرب » ٥٠ : ١ ، ٤٢٣ - ٣٧ ) .

٤٥- قلت : هناك شاعر ، سمي له وكني : « أبو عبد الله محمد بن سليمان بن الحناط » ، شهر ، قرطبي ، توفي سنة ٤٣٧ ، وهو من شعراء « الذخيرة » ٥٠ : ١ ، ٤٣٧ - ٦٧ .

٤٦- « التكملة » ٥٠ : ١ ، ٢١ .

٤٧- هكذا سماه .

٤٨- « نفح الطيب » ٥٠ : ٣ ، ٢٩٩ .

وربما كانت زيارته لاشبيلية حوالي سنة ٥٧٦ هـ . و « حمص » هي اشبيلية ، كما كان كتاب الأندلس يطلقون عليها ، لشبهها بحمص من بلاد الشام ، ولأن أول من سكنها من الفاتحين العرب كانوا جنداً جاؤوا منها .

٤٩- يلاحظ مدني الزهاء الشعراء بقصائدهم ، وتطامنهم - في الوقت ذاته - أمام من يتقدمهم على صعيد الشعر .

٥٠- وكان من الحق أن يفوته القول : « ... ومستقبلا » !

٥١- « الدليل والتكملة » ٥ : ٧٨ - ٨٤ .

٥٢- يقول محقق هذا السفر ، الدكتور احسان عباس ( ص ٨٤ ، الحاشية ٢ ) : هذا نثر قول أبي خراش الهذلي :

وليس كعهد الدار ، يا أم مالك      ولكن أحاطت بالرقاب السلاسل  
وعاد الفتي كالكهيل ، ليس بقائل      سوى العدل شيئا ، واستراح العواذل

٥٣- يلاحظ ، هنا ، تنصل الفقيه ابن الأصم مما كان نظم من شعر ، أيام شببته ، يراه - وقد اضحى كهلا - موضوعا لمعارضة ، أو اجازة أو تذييل ، من قبل جماعة من الشعراء !

٥٤- كأننا به نغزور صفيه أبا الحجاج ، لاهتمامه بهذا الباب من أبواب الشعر ، دون أن ينظم القصيد من وحي ذاته !

٥٥- يشير إلى الجارة ، التي « باحذى هذه الغيمات » !

٥٦- لفعل « زعج » معنيان ، غلب أحدهما على الآخر في عصرنا : زعجه وأزعجه : ألقه ؛ والآخر : قلعه من مكانه ، وطرده ... ( « الصجاح » و « القاموس المحيط » ) . وفي « أساس البلاغة » : أزعجه من بلاده : خلاه أقره . ولعل المقصود هنا بالانزعاج : الارتحال !

٥٧- « الدليل والتكملة » ٥ : ٨٥ و ٨٦ .

٥٨- « الدليل والتكملة » ٥ : ٨٠ و ٨١ .

٥٩- « الدليل والتكملة » ٥ : ٨٦ .

٦٠- يلاحظ أبي إدراج البيت أو البيتين المعارضين ، في كل مرة ، وذلك حرصا على تمكين القارئ من استعواذ معنى المقطوعة كاملا غير منقوص .

٦١- يقول محقق الكتاب : بياض في الأصول .

٦٢- « الدليل والتكملة » ٥ : ٨١ .

٦٣- « الدليل والتكملة » ٥ : ٨٦ .

٦٤- « الدليل والتكملة » ٥ : ٨١ ، « ربما » : ربما .

٦٥- « الدليل والتكملة » ٥ : ٨٦ .

و « جعلته حراما يتلا » ، هكذا في النص المطبوع . ولعل الصواب : حراما « يسلا » تكرارا من ابن الأصم لقول صاحب الأبيات : « وان وصالنا يسل حرام » !

قلت : والبسل هو : الحرام . وإما البتل فهو : العطاء المنقطع النظير ، وهو أيضا : الحق !

٦٦- « الدليل والتكملة » ٥ : ٨٢ .

٦٧- والقائل هو امرؤ القيس يخاطب صاحبتة « فاطم » :

فان تك قد ساءت منك خليفة      فسئلي ثيابي من ثيابك تسسل

٦٨- « الدليل والتكملة » ٥ : ٨٦ .

٦٩- « الدليل والتكملة » ٥ : ٨٢ .

٧٠- في البيت ، أعلاه : سلي « في » •

٧١- « الذيل والتكملة » ٥ : ٨٧ •

ويستطرد ابن الأصم :

« ولعله - والله يقرر له - ينشد اذا التقى الصفان ، وتدانى الصفان ، ونظر الى سرعان الخيل ، وعاد النهار كالليل :

لست على القرن بعطاف      ولا لدى الحرب بوقئاف

لكنني أهرب مستعجلا      لو ربطت رجلي الى قاف ! »

ويضيف بمزيد من التهكم :

« وينشد والحرب العتوان كأنها      من الهول بحر في تدافعه طما :

« وقالوا: تقدم ! قلت: لست بفاعل      أخاف على فخارتي أن تحطما ! »

ثم حكى « قصيرا » حين ركب العصا ، وقال : « اللهم اغفر لمن عصى ! انتهى •

« الذيل والتكملة » ٥ : ٨٧ و ٨٨ •

والبيت : وقالوا ٥٥٥ هو لابي دلالة ، قاله حين دعاه ابو مسلم لمبارزة أحد الفرسان ؛ و « قصر » هو صاحب جذيمة

المضروب به المثل : لا يطاع لقصير امر ، « والعصا : فرس جذيمة ( من هامش التحقيق ) •

٧٢- « الذيل والتكملة » ٥ : ٨٢ •

٧٣- « الذيل والتكملة » ٥ : ٨٨ • والجزر : الأرض اكل نباتها •

٧٤- « الذيل والتكملة » ٥ : ٨٣ •

٧٥- « الذيل والتكملة » ٥ : ٨٨ •

٧٦- ليس يبين لنا معنى لأن تنتمي فئاته الى « بني النجار » ، الا انسياقه وراء جناس اصطنعه في آخر البيت :

وفي « بني النجار » العجازيين ، يقول ابن حزم الاندلسي انهم من قبيلة الخزرج • والذي سمي بـ « النجار » منهم ،

هو الحفيد « تيم الله » بن ثعلبة بن الخزرج ، وذلك لانه ضرب رجلا ، اسمه « العير » ، بقلوم فتجره •

( « جفهره انساب العرب » : ٣٤٦ و ٤٧ ) •

وسوف يكون للمحكم ، هنا ، تعليق على ذلك طريف وراشح بالتهكم !

٧٧- « الذيل والتكملة » ٥ : ٨٣ •

٧٨- الثبته والجرار ( وفي المعجمات : الجرجير ) : نوعان من النبات ، ورد التعريف بهما في كتب الطب والنبات عند العرب •

انظر : « الجامع لمفردات الادوية والاغذية » لابن البيطار ٤ : ٢١٠ و ١ : ١٦٠ •

والروض الأنف : الذي لم يرع !

٧٩- الحيزوم : الصدر أو وسطه ، ج : حيازيم • يقال : « أشدد للامر حيازيمك » ، أي : استعد له •

٨٠- يغاطبه ، وليس يدري انه الشاعر المعني !

٨١- « الذيل والتكملة » ٥ : ٨٨ و ٨٩ •

وتنبين ، أخيرا ، أن حظ أبي الحجاج من رأي المحكم ، لم يكن طيبا !

٨٢- « الذيل والتكملة » ٥ : ٨٩ •

٨٣ - « نفع الطيب » ٣ : ٤١٤ ، و « المغرب » ٢ : ٤٥٦ .

والأعمى التطيلي ، لقب لأحمد بن عبد الله بن هريرة ، شاعر مجيد ، نشأ في اشبيلية ، إلا أنه لم يطل زمانه ، ولا امتد أوانه ، وتوفي سنة ٥٢٥ ، وكانت تطيله Tudela (المدينة التي إليها ينتسب في الثغر الأعلى من بلاد البشكنس) ، وقد سقطت في أيدي النصارى سنة ٥١١ هـ ( ١١١٧ م ) . ترجم له ابن بسام في « الذخيرة » ٢ : ٧٢٨ - ٥٣ ، وابن سعيد في « المغرب » ٢ : ٤٥١ - ٥٦ .

وهذا مطلع موشحة له طويلة ، تجدها في « المغرب » ، عليه :

هـ مما أجد	شغني ما أجد
قام بي وقعد	باطش متند
قلما قلت : قد	قال لي : أين قد؟
وانثنى غصن بان	ذا فنن نضر
لاعبه يدان	لصبا والقطر

★ ★ ★

## □ مراجع البحث :

### أولاً - المصادر :

- ١ - الإحاطة في أخبار غرناطة ( أربعة أجزاء ) ، للسان الدين بن الخطيب ( المتوفى سنة ٧٢٦ هـ ) ، تحقيق محمد عبدالله عنان ، مكتبة الغانجي بالقاهرة ، الجزء الثاني ١٩٧٤ .
  - ٢ - أعمال الأعلام ( أو تاريخ اسبانيا الإسلامية ) ، للسان الدين بن الخطيب ، تحقيق ليفي بروفنسال ، دار المكنون بيروت ، ١٩٥٦ .
  - ٣ - التكملة لكتاب الصلة ( مجلدان ) ، لابن الأبار ( ت ٦٥٩ هـ ) ، مجريط ١٨٨٦ - ١٨٨٧ .
  - ٤ - الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ( أربعة أجزاء في مجلدين ) ، لضياء الدين بن البيطار ( ت ٦٤٦ هـ ) ، طبعة مصورة ( عن طبعة بولاق ١٢٩١ هـ ) دار المدينة ( د . ت ) .
  - ٥ - جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم الأندلسي ( ت ٤٥٦ هـ ) ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٢ .
  - ٦ - الذخيرة في بحاسن أهل الجزيرة ( أربعة أقسام في ثمانية مجلدات ) لابن بسام الشنتريني ( ت ٥٤٢ هـ ) ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، دار الثقافة بيروت ، ١٩٧٩ ، القسمان الأول والثاني .
  - ٧ - الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ( ثمانية أسفار ، المطبوع منها خمسة متفرقة ) ، لابن عبد الملك المراكشي ( ت ٧٠٣ هـ ) ، بيروت - الرباط ، ١٩٦٥ - ١٩٨٤ :
- السفر الأول : تحقيق الدكتور محمد بن شريفة ، دار الثقافة بيروت ( د . ت ) ،
  - السفر الخامس : تحقيق الدكتور احسان عباس ، دار الثقافة بيروت ، ١٩٦٥ ،
  - السفر السادس : تحقيق الدكتور احسان عباس ، دار الثقافة بيروت ، ١٩٧٣ ،
  - السفر الثامن ( قطعة منه ) : تحقيق الدكتور محمد بن شريفة ، أكاديمية المملكة المغربية بالرباط ، ١٩٨٤ .



- ٨ - الروض المعطار في خبر الاقطار ، للحميري ( ت ٩٠٠ هـ ) ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، مؤسسة ناصر للثقافة ( ؟ )  
، الطبعة الثانية ١٩٨٠ .
- ٩ - صلة الصلة ( ذيل للصلة البشكوالية في تراجم اعيان الاندلس ) ، لابي جعفر بن الزبير ( ت ٧٠٨ هـ ) ، تحقيق لافي بروفنصال ، الرباط ١٩٣٧ .
- ١٠- عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، لابن ابي اصيبعة ( ت ٦٦٨ هـ ) ، تحقيق الدكتور نزار رضا ، دار مكتبة الحياة ببيروت ( د . ت ) .
- ١١- المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ( او تاريخ قضاة الاندلس ) ، للنباهي ( ت بعد ٧٩٣ هـ ) طبعة مصورة ( عن طبعة القاهرة ١٩٤٨ تحقيق ليفي بروفنسال ) ، دار الافاق الجديدة ببيروت ، ١٩٨٠ .
- ١٢- المغرب في حلى المغرب ( جزءان ) ، لابن سعيد الاندلسي ( ت ٦٨٥ هـ ) ، تحقيق الدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثالثة ١٩٧٨ - ١٩٨٠ .
- ١٣- نبذة العصر في انقضاء دولة بني نصر ( او آخر ايام غرناطة ) ، مؤلف اندلسي مجهول ( من رجال القرن التاسع الهجري ) ، تحقيق الدكتور محمد رضوان الداية ، دار حسان بدمشق ، ١٩٨٤ .
- ١٤- نفع الطيب في غصن الاندلس الرطيب ( ثمانية مجلدات آخرها فهارس ) ، للمقرئ ( ت ١٠٤١ هـ ) ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، دار صادر ببيروت ، ١٩٦٨ ، المجلدان الثالث والرابع .

## ثانياً - المراجع والمعاجم :

- ١٥-الانوار الاندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال ، لمحمد عبدالله عنان ، لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٦١ .
- ١٦- تاريخ الفكر الاندلسي ( او تاريخ الادب العربي - الاسباني ، للمستشرق الاسباني انغل جنثالث بالنثيا ، تعريب الدكتور حسين مؤنس ، طبعة مصورة ( عن طبعة مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ١٩٥٥ ) ، ( د . ت ) .
- ١٧- نهاية الاندلس وتاريخ العرب المتنصرين ، لمحمد عبد الله عنان ، لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ، الطبعة الثالثة ١٩٦٦ .
- ١٨- اساس البلاغة ، للزمخشري ( ت ٥٣٨ هـ ) ، تحقيق عبدالرحيم محمود ، احياء المعاجم العربية بالقاهرة ، ١٩٥٣ .
- ١٩- الاعلام ( ثمانية مجلدات ) ، للزركلي ، الطبعة الخامسة ، دار العلم للملايين ببيروت ، ١٩٨٠ .
- ٢٠- الصحاح في اللغة والعلوم ( مجلدان ) ، للجوهري ( ت ٣٩٣ هـ ) ، اعداد وتصنيف نديم مرعشلي ولده اسامة ، دار الحضارة العربية ببيروت ، ١٩٧٤ .
- ٢١- القاموس المحيط ، للفيروز ابادي ( ت ٨١٧ هـ ) ، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ببيروت ، ١٩٨٦ .
- ٢٢- المعجم الادبي ، للدكتور جبور عبد النور ، دار العلم للملايين ببيروت ، ١٩٧٩ .

